مفهوم المرض العقلي بين الواقع والخيال

أ.د خالد الفخراني – أستاذ علم النفس الإكلينيكي والإرشاد والعلاج النفسي
جامعة طنطا – مصر
fakhrany@gmail.com

يمثل مفهوم "المرض العقلي" شبكة من الافتراضات التي تم تشريعها من قبل العلاج النفسي ذاته. حيث يرغب العديد من المرشدين والمعالجين النفسيين في التمييز بشكل واضح بين ما يقومون به وبين ممارسات وافتراضات الطب النفسي التقليدي. ومع ذلك، كلما وُصف العلاج النفسي بأنه "علاج"، واعتبر العميل "مريض"، ويتم التشبث بمفهوم المرض العقلي. ويتجذر مفهوم "المرض العقلي" في الثقافة الأوروبية وفي أمريكا الشمالية، حيث من الواضح أن المرشدين والمعالجين النفسيين على دراية بما يعنيه هذا المفهوم وما الذي يفعلونه من خلاله.

ويمكن العثور على نقد منهجي لمفهوم "المرض العقلي" في كتابات المحلل النفسي توماس زاسز Szasz [1](1961) الذي ناقش ما تم وصفه وتسميته "بالمشكلات الحياتية" كأعراض مستعارة "لمفهوم المرض العقلي". ورأى من خلال قول الشخص: بأنه يشعر ويقوم بنمط سلوكي معين لما نطلق عليه مفهوم أو مصطلح "اكتئاب"، ينطوي على عدم قدرته على العمل، ويحتاج للمساعدة من قبل الآخرين. وكأن الاكتئاب يشبه حالة مرضية الحصبة. لكن القياس، أو الاستعارة، في الحالات المرضية البيولوجية لها حدود صارمة جداً. ولا تشبه "مشكلات الحياة اليومية"، فالاكتئاب كمرض ليس كالحصبة نتيجة لاختلافهما في نواح عديدة منها: أن الاكتئاب لا يمكن الوقاية منه عن طريق التطعيم، كما أن سببه البيولوجي غير معروف، وهلم جرا. ومن ثم يختلف اضطراب الاكتئاب تمامًا عن مرض الحصبة، حيث يمكن علاجه من خلال المحادثة (الإرشاد أو العلاج النفسي)، ولا يمكن التغلب على المرض البيولوجي بهذه الطريقة على الإطلاق. وإحدى النقاط الأساسية التي أشار إليها Szasz تكمن في أن استعارة المسميات تكون جذابة ظاهرياً بالنسبة للأمراض العقلية، لكنها تخفي أكثر مما تكشف، وتؤدي إلى الارباك والغموض. ومع ذلك، فإن استعارة مفهوم "المرض العقلي" يسهل فهمه من قبل معظم الأفراد، ولقد ظلت هذه المفاهيم سائدة للتحدث بها عن "المشكلات الحياتية" في المجتمع الغربي منذ حوالي 200 عام. فلماذا حدث ذلك؟ هناك عدد من الأسباب يمكن عرضها. السبب الأول: هو أن كثير من الأفراد يعتبرون أن كلمة "المرض" هي تفسيراً تقليدياً للسلوك المضطرب. فكثيرا ما ارتبط تفسير الضعف الأخلاقي من (الاستعارات الدينية) أو الضعف الوراثي من (الاستعارات الجينية) بالمناهج العقابية الشديدة لأولئك الذين يعانون من هذه الاضطرابات. كما أن هناك كثير من الأفراد يعتقدون بأن "المرض" العقلي ناتج عن أسباب بيولوجية وعلاجه سوف يتم اكتشافه فيما بعد وفي الوقت المناسب.

وهناك أسباب سياسية إضافية لشيوع استعارة كلمة المرض. من خلال القول بأن "المشكلات الشخصية" تكون ناتجة عن أسباب فردية (كالأداء العقلي الخاطئ)، لصرف الانتباه عن المشاكل الناتجة عن عوامل اجتماعية، كالاضطهاد أو التمييز العنصري أو الفقر. فمن الأسهل والأكثر ملاءمة للنخب

يرغب العديد من المرشدين والمعالجين النفسيين في التمييز بشكل واضح بين ما يقومون به وبين ممارسات وافتراضات الطب النفسي التقليدي.

كلما وُصف العلاج النفسي بأنه "علاج"، واعتبر العميل "مريض"، ويتم التشبث بمفهوم المرض العقلي.

فالاكتئاب كمرض ليس كالحصبة نتيجة لاختلافهما في نواح عديدة منها: أن الاكتئاب لا يمكن الوقاية منه عن طريق التطعيم، كما أن سببه البيولوجي غير معروف

أن كثير من الأفراد يعتبرون أن كلمة "المرض" هي تفسيراً تقليدياً للسلوك المضطرب. فكثيرا ما ارتبط تفسير الضعف الأخلاقي من (الاستعارات الدينية) أو الضعف الوراثي من (الاستعارات الجينية) بالمناهج العقابية الشديدة لأولئك الذين يعانون من هذه الاضطرابات.

كثير من الأفراد يعتقدون بأن "المرض" العقلي ناتج عن أسباب بيولوجية وعلاجه سوف

السياسية تقديم ارشاد أو علاج لمتعاطي المخدرات بدلاً من ضمان حقوقهم المادية والاجتماعية التي أدت بهم إلي تعاطي تلك المخدرات. فعن طريق وصف شخص ما بأنه "مريض"، يعد مبرراً لاستخدام القيود الطبية والقانونية لتقييد حريته بحجة أنه "مريض" ولم يعد بإمكانه اتخاذ قرارات عقلانية، ويكون علاجه مطلوب " وإلزامي".

يوضح هذا النقد لمفهوم "المرض العقلي" بعض المبادئ المهمة لتحليل المفاهيم.

أولاً: توجيه النظر في احتمالية أن تكون هذه المفاهيم قد نشأت في شكل استعارات (مقارنات تخيلية)، "تم مراجعتها" (وأصبحت "حقيقية").

ثانياً: من المهم دراسة الطريقة التي يتم بها استخدام المفهوم داخل المجتمع؛ وما هي الممارسات الاجتماعية التي دعمته وجعلته مشروعاً؟

ولقد تم دراسة العديد من الجوانب المكونة لاستعارة مفهوم "المرض العقلي". على سبيل المثال، قدم هالام (Hallam 1994) سردًا رائعًا للطريقة التي تم من خلالها بناء مفهوم "القلق" تاريخيا واستخدامه داخل المجتمع. كما ناقش كل من ستيلز وشابيرو (1989)[2] الآثار المترتبة، على اعتماد نموذج طبي في مجال أبحاث العلاج النفسي، لما يسمى "استعارة المهدئات". ففي كثير من الأبحاث، يتم دراسة العلاج النفسي كما لو كان دواءً، حيث تركز الفحوصات على تأثير "جرعات" مختلفة من الأدوية على الحالة المزاجية للعميل، أو إدراج "مكونات دوائية" جديدة مختلفة. ويرى كل من ستيلز وشابيرو (1989) بأن النظر إلى العلاج بهذه الطريقة تؤدي إلى صورة مشوهة، لأنها تتجاهل المشاركة النشطة للعميل، وأهمية العلاقة العلاجية. ويمثل تحليل المفاهيم محاولة للوصول لمعانيها من خلال النظر إلى المفهوم من أربعة جوانب هي: كيف تطور معنى المفهوم مع مرور الوقت؛ والتفكير فيه باعتباره استعارة؛ ومقارنة معناه بمعاني المفاهيم المشابهة له؛ وملاحظة كيفية استخدامه حاليًا من قبل الفئات الاجتماعية. إن تقنية تحليل المفهوم تعد أداة قيّمة، ولديها الكثير لتقدمه فيما يتعلق بتوضيح القضايا الأساسية المرتبطة بالتشابه والاختلاف بين العديد من نظريات العلاج التي تم وضعها ولكنها غير مستغلة في الإرشاد والعلاج النفسي المعاصر.

يتم اكتشافه فيما بعد وفي الوقت المناسب.

فعن طريق وصف شخص ما بأنه "مريض"، يعد مبرراً لاستخدام القيود الطبية والقانونية لتقييد حريته بحجة أنه "مريض" ولم يعد بإمكانه اتخاذ قرارات عقلانية، ويكون علاجه مطلوب " وإلزامي".

ففي كثير من الأبحاث، يتم دراسة العلاج النفسي كما لو كان دواءً، حيث تركز الفحوصات على تأثير "جرعات" مختلفة من الأدوية على الحالة المزاجية للعميل

النظر إلى العلاج بهذه الطريقة تؤدي إلى صورة مشوهة، لأنها تتجاهل المشاركة النشطة للعميل، وأهمية العلاقة العلاجية.

إن تقنية تحليل المفهوم تعد أداة قيّمة، ولديها الكثير لتقدمه فيما يتعلق بتوضيح القضايا الأساسية المرتبطة بالتشابه والاختلاف بين العديد من نظريات العلاج التي تم وضعها ولكنها غير مستغلة في الإرشاد والعلاج النفسي المعاصر.

[1] **Szasz, T.S.** (1961) *The Myth of Mental Illness*. New York: Hoeber-Harper.

[1] **Stiles, W.B. and Shapiro, D.A.** (1989) Abuse of the drug metaphor in psychotherapy process-outcome research, *Clinical Psychology Review*, 9, 521-43.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocFakhranyConceptMentalIllness.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي / المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com / http://www.arabpsynet.com

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتها التاسعة عشرة وتدخل عامها العشرون من التأسيس

19 عاما من الكدح... 17 عاما من التواصل "

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf